حياةٌ واحدة على الأرض... هل هي كافية؟

مَن منّا لم ينتفض لوفاة طفلٍ أو شاب في ربيع العمر سائلاً أين هي العدالة الإلهية؟ مَن منّا لم تلفته يوماً حالات مرضيّة معيّنة إلى إبن من دون آخر ضمن العائلة الواحدة؟ مَن منّا لم يسأل يوماً عن سرّ الوراثة وسبل إنتقال الصفات الوراثية؟ مَن منّا لم يحيّره إختلاف الشخصية بين توأمين عاشا ضمن المحيط والظروف ذاتها؟ أسئلة كثيرة لم تجد لها العلومِ والديانات السماوية، المسمّاة تقليدية، إجابات شافية، في وقت يجيب معهد «الإيزوتيريك» الباطني عن هذه الاسئلة إنطلاقاً من مسألة اكتشاف باطن الإنسان ومكوّناته الخفيّة، فما الذي يخبّئه هذا العلم؟

«تنعكس نتائج حيواتنا السابقة على الارض على تصرّفاتنا وافعالنا وحتى على اشكال اجسادنا المادية التي هي انعكاس لها»

باسكال بطرس
pascale.boutros@aljoumhouria.com
@pascaleboutros

يروي أحد طلاب العلوم الباطنية– الايزوتيريك، الذي دوّن مذكراته الشخصية واعترافاته الذاتية في مخطوطات نُشرت تحت عنوان "عالِمَ ليُخبر"، كيف تعرّف على شيخ من العلماء كشف له عن أسرار الوجود، وأخبره أنّ "القانون الإلهي عادل يتيح لكل انسان اختيارَ مصيرِه بنفسه، لا بل هو يمنحه الفرصة تلوَ الاخرى في بداية حياته ليتذكّر ما توصّل إليه في حياته السابقة. وعندئذ يوضع الانسان أمام مسؤولية اختياره تجاه مستقبل وعيه". ويكشف الراوي أنه "في أحد الأيام، وبعد مغادرة هذا المعلم، عدتُ الى المنزل واستلقيتُ على السرير، والذاكرة تستعرض كلماته الواحدة تلوَ الأخرى، وأنا أغوص في أبعادها ومضامينها.. إلى أن أشعرني التركيز الذهني وكأني أدخل فيما يشبه الدوّامة... ثم رأيتني في مكان لم أستطع تحديد موقعه! ووجدت نفسي جالساً في غرفة كبيرة تشبه قاعة المحاضرات، والى جانبي بضعة أشخاص، وكنا ننظر جميعاً الى رجل يعتلي منصّة، ويتحدّث بصوت رخيم!" ويتابع: "تفحّصت الشخص الذي هو أنا في هذه الرؤيا... وملامحه تختلف قليلاً عن ملامحي. لكني أحسست ضمنياً بأني هو... فيما الشخص الذي يخاطب الحاضرين، كان (الشيخ العالم نفسه) معلمي الحالي!... ما زال صدى صوته يصدح في ذاكرتي... وها هو يعود ليقوى وتتّضح نبراته، لتُطابق كلمات المعلم الذي يخطب الطلاب". ويضيف: "كأني في تلك اللحظات انتقلتُ بالصورة والصوت الى عالم آخر.. لا أدري ما هو، ولا أين هو!.. ثم لمعَت في ذهني فكرة وأنا ضمن "الرؤيا"، أو حلم اليقظة هذا. فنظرت الى الدفتر الذي كان بين يديّ، أدوّن عليه بعض الملاحظات والعبارات التي يلقيها المعلم، فوقع نظري على التاريخ الذي دونته في زاوية الصفحة، فقرأت: 1572/9/3 ... فانتابني الذهول!" سائلاً "هل يمكن أن تكون الرؤيا كشفاً عن الحياة السابقة التي عشتها...؟ من يستطيع أن يؤكد لي هذه الحقيقة، أو يخلّصني من هذا الهاجس؟!... تعود كلمات المعلم لتضجّ في ذاكرتي: لا أحد يستطيع أن يقنعك بحقيقة نفسك سوى نفسك! وها هي نفسي تكشف لي الحقيقة، فكيف أرفضها؟" ويختم: "إذاً كنت فعلاً متجسّداً في العام 1572... وكنت طالباً لدى المعلم نفسه، أستمع الى محاضراته... والتي كان آخرها يطابق المحاضرة الأخيرة التي استمعت اليها اليوم بالذات، والتي وُضعتُ فيها وجها لوجه أمام حريّة اختيار المصير!"

تقمّص؟

لا شكّ أنّ شهادة هذا الشخص غريبة وغامضة في آن. وأوّل ما يراود فكر المتلقّي هو مقاربة ما حصل بعملية "التقمّص" لدى الطائفة الدرزية. إلّا أنّ الإيزوتيريك (أو ما يعرف بعلوم "المعرفة البيضاء") Esotéric يفرّق بين العَود للتجسّد وبين التقمّص (التناسخ)، فالأول يشير إلى ارتداء النفس البشرية العليا العاقلة جسداً بشرياً جديداً (بشرياً حصراً) لدى عودتها إلى الأرض، بينما يشير الثاني إلى إمكانية انتقال النفس العاقلة إلى جسد بشري أو حيوان أو نبات أو جماد.

«الايزوتيريك»

وفي هذا السياق، يشرح مؤسس مركز علوم الإيزوتيريك في لبنان أو "المعهد الباطني الأول من نوعه في لبنان والعالم العربي"، الدكتور جوزيف مجدلاني لـ"الجمهورية" أنّ كلمة إيزوتيريك "يونانية المنشأ تعني داخلي أو باطني؛ إستخدمها فلاسفة الإغريق للإشارة الى كلّ ما هو خفي"، مشيراً الى أنه "من الخطأ الظنّ أنّ الإيزوتيريك منهجية ابتعاد عن الحياة المادية، بل هو ترويض المتطلبات والرغبات. والإيزوتيريك درب وعي، والوعي لا يتفتّح إلا مع الناس وبين الناس، وإلّا فلن يتعلّم الإنسان من أخطائه، ولن يتابع على المنهج السليم".

إثبات التجسّد

ويرى مجدلاني أنه "إذا لم تكتمل مرحلة الوعي في حياة واحدة، فهذا دليل أكيد على أنّ المرء سيُكمل حَصْد ثمار ما إبتدأه وما عمل عليه في مسيرة وعيه... فالإيزوتيريك يؤمن أنّ الانسان سائر الى تطوّر مستمرّ، وما العودة الى التجسّد إلّا للارتقاء الى وعي أسمى ومفهوم أشمل يجاري التطوّر الدائم".

ولا يستغرب مجدلاني عدم تذكّر الإنسان ماضيه في دورات حياتية سابقة، ويقول: "إن كان الانسان لا يتذكر معظم تفاصيل حياته الحاضرة، فكيف له أن يتذكّر وجوده السابق على الأرض؟ علماً أنّ هذا لا يعني أنّ جميع الاشخاص يفتقرون الى مقدرة التذكر. فالباحث الكندي، الطبيب ايان ستيفنسون الذي توفي عام 2007، كان أستاذاً في علم الطب النفساني، ومديراً لقسم الدراسات الشخصية في جامعة فرجينيا يروي في كتابه "الأطفال الذين يتذكرون حياتهم السابقة" مقابلات عدة أجراها مع أشخاص استطاعوا تذكّر حيواتهم السابقة... وهناك كتب وابحاث كثيرة في هذا المضمار. هذا من دون أن ننسى أنّ هنالك الملايين من شعوب أميركا وأوروبا (ناهيك عن سكان الشرق الأقصى) التي تؤمن بالتجسّد كحقيقة لا شك فيها". إشارة الى أن هنالك العديد من الأطباء النفسانيين يستخدمون التنويم المغناطيسي، في معالجة مرضاهم، فيعيدونهم الى دورة حياتية سابقة حيث نشأ فيها المرض النفسي كي تتم عملية شفائهم.

> **مجدلاني لـ«الجمهورية»: التجسّد هو ارتقاء الى وعي أسمى ومفهوم أشمل يجاري التطوّر**

أين العدل؟

تسأل خلود شعيب، وهي دكتورة في الصيدلة، عن "اللغز الذي يكمن وراء انقسام خلايا الأم ومكوّناتها الجينية، وعن آلية توزّع الجينات المرضيّة على واحدة من دون الأخرى"، مشيرة الى أنها طرحت هذه الأسئلة خلال مرحلة دراستها على أحد الأساتذة، الذي أسهب في شرح هذه العملية الدقيقة وتقنيّتها مستطرداً من وقت لآخر، للتذكير أنّ كل ذلك يحصل عشوائياً. وبالتالي يكون "كل إنسان منّا وليد مصادفة أو حظ، "مصادفة" جينات وأمراض أو بذور أمراض دون أخرى". وتتابع: "لم أقبل تلك الإجابات لانها بكل بساطة لم تلامس المنطق العلمي التحليلي... فهل يُعقل أن تكون كل آلام البشرية وليدة المصادفة أو الحظ؟ طبعاً لا... إذاً أين العدل؟" وتلفت إلى أنني "بحثت كثيراً لكنني لم أجد الجواب إلّا في علم "الإيزوتيريك" – علم الباطن الإنساني، التي تؤكد أنّ لا وجود للمصادفة أو للحظ في النظام الكوني".

نظام الوجود

يؤكد مجدلاني في هذا الإطار، أنّ "الوجود ككلّ قائمٌ على نظام دقيق لا مجال فيه للخطأ أو العشوائية، يوجزه العلم بقانون السّبب والنتيجة". وإذ يلفت إلى أن "هذا العلم التقى، بمجمل فروعه، مع الإيزوتيريك حول هذه النقطة الجوهريّة"، يسأل: "ولكن إذا وُلد طفل ما بعاهة جسدية معينة، فما هو السبب وراء ذلك؟ هل هو فوضى طبيعية؟ هل هو عشوائية وجودية؟ أم أنّ هذا الخلل أشبه "بخطأ مطبعي" يتوقف إزاءه العلم حائراً؟"، مشيراً الى أنه "فيما يؤكد العلم أنّ الانسان يستعمل ما بين خمسة الى عشرة في المئة فقط من مقدّرات دماغه، يَعتبر الإيزوتيريك "قسماً من هذه الخلايا يعمل كخازن لوعي الباطن"، لافتاً الى أنّ "كارل يونغ، تلميذ فرويد والباحث في علوم البواطن الإنسانية، كان قد تبحّر في هذه المعرفة بفضل تنقّلاته بين معاهد الشرق الأقصى القديمة، وغدا من المؤمنين بتكرار العودة الى التجسّد".

سرّ الوراثة

وإذ يشير إلى أن "الذبذبات المسجّلة في وعي الإنسان الباطني بعدما يعود الى الأرض، تتحوّل الى سِمات وصفات تشكّل شخصيته وتعطيه هويته التي يتفرّد بها عن الآخرين"، يعتبر مجدلاني أنّ "الحلقة المفقودة هنا تكمن في جينات الوراثة (DNA). فالذبذبات المخزونة في وعي الباطن، في ذلك العالم غير المنظور، يجب أن تمرّ بمرحلة تحوّل كي تخرج الى العالم المنظور... هذا التحوّل يحصل في جينات الوراثة. من هنا، يقول الإيزوتيريك إنّ المرء "يرث حوالي 60% من نفسه، أما النسبة المتبقية فيرثها من الوالدين والمحيط".

طلاب الايزوتيريك

"كثيرة هي الإفادات الحياتية النوعية التي حصدتها منذ أن انتسبت طالبة إلى مركز الإيزوتيريك"، تقول هيفاء العرب، مديرة مشاريع في شركة هندسيّة، لافتة إلى أن "سردها مع الحفاظ على الخصوصية ليس بالأمر السهل. ولكن يمكنني القول إنّ تطبيق منهج الإيزوتيريك جعلني أترقّى في جوانب حياتي كافة، حتى في وظيفتي، كوني أساساً مهندسة معمارية"، لافتة الى أن "الإيزوتيريك علمني فنّ الحفاظ على حقوقي والحصول عليها من خلال تقوية شخصيتي والعمل على نقاط ضعفي التي لم أكن أعيها".

بدوره، يشرح زياد دكاش، مديرّ في شركة هندسيّة "أنني اكتشفتُ من خلال علوم الإيزوتيريك، أسرار علم الذبذبة الذي يتخطى العلوم المادّية، وتعرّفتُ إلى تقنيات تفتيح الوعي وتوسيعه، والتمتّع بصحّة جيدة، وتقوية التركيز الذهني والذاكرة من جهة، والتعمّق في تقنيات التأمّل من جهة أخرى، وكل ما يفيد الوعي عملياً ويرتقي بمستوى الحياة".

من جهتها، تلفت لبنى نويهض، مديرة تسويق في دار للنشر، إلى أن "علوم الإيزوتيريك قلبتْ مفاهيمي في الحياة رأساً على عقب، بطريقة جذرية ايجابية جعلتني أصادق وأفهم أكثر ما كنتُ أجهله أو أستصعب فهمه في الحياة: "نفسي"، وتوضح "أنني تلمستُ تغييرات أساسية في حياتي حيث قوي تركيزي وعمق تفكيري وتوسّع وعيي، وهذا ما جعلني أكتسب نظرة عمقية أفقية شاملة ومشتملة لكل الأمور. فتخلّصتُ من سلبيات عدّة وما زلت أعمل على كل ما يتكشّف لي من نواقص في نفسي".

وفي الختام، يعود مجدلاني للتأكيد أنّ "الانسان هو الهدف دائماً وأبداً"، وإذ إنه يؤكد "عدم تعارض هذا العلم مع الأديان، أو تدخله في المعتقدات أو المذاهب"، يشدّد على أنه "ليس المهم بعد ذلك إن قَبل المرء بالشيء أو رفضه. الأهم أنّ الاستنتاج جاء وليد الخبرة الشخصية، التي يصبو كل إنسان الى الإغتناء بها".

إذاً، وفي ظلّ انبهارها بكل ما له علاقة بـ"الخفائية" و"الباطنية" وتعطّشها للروحانيّات، يتّضح أن الناس بدأوا اليوم يغوصون أكثر في رحلة البحث واللجوء إلى روحانيات بعيدة عن تفسيرات الديانات السماوية، على رغم التقائها على المبادىء والقيم والأخلاق الانسانية نفسها. ■